

مكونات السرد في القصة الجزائرية المعاصرة

قراءة تحليلية في قصة الممرضة الثائرة لمحمد صلاح الدين

*The components of the narrative in the contemporary Algerian story
Analytical reading in the story of the rebellious nurse by
Mohamed Salah Eddin.*

د. أحمد بوعافية

جامعة تمنراست، (الجزائر)

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تمنغست

bouafiaahmed@univ-tam.dz

تاريخ القبول: 22/07/15. النشر: 2022/11/16

تاريخ الاستلام: 2022/01/20

ملخص:

اهتمت القصة القصيرة الجزائرية على غرار العديد من القصص العربية بموضوع المقاومة والنضال ووقائع حرب التحرير، وأصبح هذا الموضوع يشكل المحور الرئيسي حتى بعد استقلال الجزائر في أغلب كتابات قاصيها سواءً باللغة العربية أو الفرنسية، وبما أن حرب التحرير كانت لها وقائع سلبية ووخيمة على نفوس الجزائريين فقد اهتم القاص الجزائري بالجانب الإنساني والاجتماعي وتحلى ذلك في كتاباته الأدبية لضمان نقل الحقائق والأحداث إلى القارئ ضمن مشهدية الخطاب القصصي المعاصر. إن القصص الأدبية الجزائرية المتعلقة بالثورة التحريرية، تعتبر فرعاً من قصص تيار الوعي الحدائثي، فالأسلوب الحديث في الكتابة المتضمن أنماطاً من التاريخ والتراث، ساعد كثيراً في ارتقاء هذا النوع من الأدب.

الكلمات المفتاحية: مكونات، سرد، قصة، جزائرية، معاصرة.

The Algerian short story, like many Arab stories, was concerned with the issue of resistance and struggle and the facts of the war of liberation, and this topic became the main focus even after the independence of Algeria in most of its writings, whether in Arabic or French. The Algerian storyteller was interested in the human and social aspect, and this was evident in his literary writings to ensure the transmission of facts and events to the reader within the scene of contemporary narrative discourse. The Algerian literary stories related to the liberation revolution are considered a branch of the stories of the stream of modern awareness. The modern style of writing that includes patterns of history and heritage has greatly helped in the advancement of this type of literature.

KeyWords: Components, Narration, Story, Algerian, Contemporary

مقدمة:

من أهم العناصر التي أدت إلى جماليات القصة الجزائرية المعاصرة، هو التحكم الجيد في تقنيات مكونات السرد، كونه أمراً ضرورياً في إبراز دلالة النص وصناعة الخطاب القصصي المعاصر، مما أدى إلى خلق حركة سردية تجديدية أعطت صورة نموذجية عن الأفق الذي بلغته القصة الجزائرية من خلال جودة إنتاجها الأدبي.

قصة الممرضة النائرة لمحمد صلاح الدين من النماذج القصصية الثورية في الجزائر، استمدت قوتها من جمالية عناصرها الفنية، حيث اعتمد المؤلف على الأحداث التاريخية ضمن قالب خيالي، فني متميز برعت فيه ثقافته الواسعة، ساعدته على بلورة الفن القصصي الجزائري وسبر أغواره وتقديمه للقارئ عبر وقائع تاريخية تخيلية، إيماناً منه بأهمية تواصل الأفكار عبر الأجيال.

حيث استطاع صلاح الدين من الكشف عن المآسي الاجتماعية التي عاشها الإنسان الجزائري إبان سنوات الجمر الاستعمارية، عبر استدعاء التاريخ واستنطاقه وإعادة صياغته بما يتلاءم والقارئ العربي المعاصر.

تتمثل إشكالية البحث في جملة من التساؤلات، هي:

- ما هو دور مكونات السرد في تطوير القصة الجزائرية المعاصرة؟
- هل تعالق مكونات عناصر السرد مع بعضها البعض يعتبر من مقومات صناعة العمل الأدبي المعاصر؟
- ما هي أبرز القضايا التي تعالجها السرديات القصصية المتعلقة بأدب الصحراء الجزائرية؟
- الهدف من البحث موضوع الدراسة فيرجع إلى إظهار مضامين أدب الصحراء الجزائرية من خلال القصة المعاصرة دراسةً وتحليلاً.

وبخصوص منهج البحث، فقد اعتمدت في دراستي على منهجين أساسيين، أولهما المنهج التاريخي كونه يعتمد على كشف وإظهار الحقائق التاريخية في تحليل النصوص الأدبية. وثانيهما المنهج البنوي باعتباره من المناهج النقدية التي ساعدت كثيراً في دراسة وتحليل الأعمال الأدبية من منظور النقد المعاصر.

- مكونات السرد في قصة الممرضة النائرة:

سنتطرق في هذا المقال من خلال التحليل إلى أهم المكونات السردية في قصة الممرضة النائرة لمؤلفها محمد صلاح الدين، حسب الآتي:

1- الشخصيات:

- الشخصيات إحدى مقومات النص القصصي فهي عنصر فعال في ربط الأحداث بالمعنى ضمن مجال زمني ونطاق مكاني معين، فكل من شارك في الأحداث يعتبر شخصية والأشخاص في أغلب القصص ينقسمون إلى:
- أشخاص ذوي مستوى واحد (لا تتغير مع الأحداث).
 - الشخصيات النامية (تتغير مع الأحداث).

عدّد محمد صلاح الدين في قصته مجموعة من أسماء الشخصيات الرئيسية والثانوية، التي شاركت في العملية السردية من خلال الحوار أو المشاركة في الأحداث، فالشخصيات الرئيسية تتمثل في:

- صوفي الممرضة الثائرة الملقبة بنادية .

- حماد الملقب بالسي موسى .

أما عدد الشخصيات الثانوية في القصة فقد وصل إلى (26) ستة وعشرون شخصية.

سنسلط الضوء على في دراستنا على تحليل ثلاثة أنواع من الشخصيات في قصة الممرضة الثائرة، وهي: (شخصية البطل، شخصية الراوي، الشخصية الحكائية)، كما يأتي:

أ- شخصية البطل :

شخصية البطل أهم شخصية في القصة، فهو المحور الذي يعتمد عليه الكاتب في سرد قصته وبناء حوادثه، فمن المعتاد وجود شخصية تمثل البطل في أي قصة، وعادة ما نجده يفوز في نهاية القصة بمبتغاه. فهي الشخصية التي لا تنمو أحداث العمل الأدبي بدونها، وهناك من يسميها بالشخصية المحورية. لذلك "لاحظ الشكلاونيون الروس مبكرا أن أية علاقة انفعالية تجاه البطل إنما تنبعث من العمل الأدبي ذاته . فالعلاقة الانفعالية بالبطل ناتجة عن البناء الجمالي للعمل الأدبي" (سيد اسماعيل ضيف الله، 2008، ص: 49)

الشخصية البطل في قصة الممرضة الثائرة، كانت من نصيب الفرنسية (صوفي) الملقبة من طرف الثوار ب: (نادية)، والتي كانت تتمهن حرفة التمريض في الجبل، فالكاتب اعتمد عليها كثيرا في سرد قصته، من خلال حكيته للأحداث، فقد كان حضورها واضحا من بداية القصة إلى نهايتها.

أما الشخصية الرئيسية الثانية في القصة، فكانت من نصيب الجزائري الثائر (حماد)، فهو ثاني شخصية محورية في القصة والذي كان يهدف الكاتب من خلاله إلى إبراز الأحداث والتفاعل معها.

ب- شخصية الراوي :

الحكي أداة في يد المؤلف يوظفه كما يشاء، عبر توظيفه للعديد من الشخصيات في حكيه من أهمها شخصية الراوي، وقلما نجد قصة دون راوٍ، فهو همزة الوصل بين المؤلف والمتلقي.

في قصة الممرضة الثائرة وظف المؤلف الراوي الغائب في جل مراحل الحكي، والراوي الغائب هو الراوي العليم بتفاصيل القصة ومجريات أحداثها، فهو يقوم بالرؤية من خلف، من أمثلة ذلك ما يلي:

- "..... وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وتسرح جيرفيه من الخدمة العسكرية وكان ذلك بالضبط في شهر جوان سنة 1945 وعاد حرا طلبقا لمزاولة نشاطه كمقاوم في قرية سانت مور....." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 05).

- "بعد أن قضى العم مبارك سنة في عمله مزارعا في بساتين المسيو جيرفيه تمكن من جمع مبلغ اشترى به صداقا وطفق يبحث لنفسه عن ابنة الحلال .." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 11).

- "... في الأيام الأخيرة من شهر مارس انتهت الفترة التدريبية المقررة وأخبر المدير الطلبة الجنوبيين من انه في وسعهم العودة إلى بلادهم ريثما تتخذ الإجراءات الضرورية والمتعلقة بتشغيلهم..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 19).

ج- الشخصية الحكائية :

الشخصية الحكائية هي القناة التي يُعبر من خلالها القاص عن الواقع المعاش، فهي ليست إنساناً أو شخصا وإنما هو ذلك الإبداع الفني الموجود في أحداث الحكاية، حيث يستطيع القارئ أن يتنبأ أو أن يستنتج بعض الأحداث بناءً على ما يُخبر به الراوي، أو ما تُخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات، إذ كثيراً ما نشعر في قصة الممرضة الثائرة بتنبأ القارئ ببعض الحوادث أو الوقائع قبل حصولها، وذلك من خلال سلوك الشخصيات، فمثلاً:

- يتنبأ القارئ إلى أن (حماد) سيصعد إلى الجبل- قبل صعوده- من خلال سلوكه القويم وحبه للوطن، وتأثره بالثوار.
- من خلال الحكيم عرفنا سلوك المعمرين السيئة في العديد من المقاطع، من ذلك نكران الجميل وعدم شفقة (المسيو جبرفيه) حيث شكر الفرنسيين على قتل بستانيه الخاص المسمى العم (مبارك)، وتشريد زوجته.
- نستنتج مسبقاً من شخصية (صوفي) بأنها ستؤيد القضية الجزائرية، وهذا من خلال اعترافها بالجميل وكرهها لفرنسا.

من هذا نستنتج أن الشخصية الحكائية لها أوجه متعددة، تتعدد بحسب وجهة نظر المتلقين وتعدد أفكارهم وتحليلاتهم .

2- الحدث:

الحدث في قصة الممرضة الثائرة يدور أساساً في بيئة ثورية، فبالرغم من أن القصة خيالية، لكن دلالاتها حقيقية، وبما أن إدراك الحدث يعتمد في الأساس على وصف الأحداث، فإن المؤلف اعتمد على وصف الأحداث التاريخية والثورية بدايةً من بيئة اجتماعية يسودها الاستعمار والتهميش، إلى بيئة تنعم بالحرية والعدالة والاستقلال. دور مجريات الأحداث تارة بين المعمرين الذين سكنوا الجزائر واستمتعوا بخيراتهما وبين الجزائريين الأصليين الذين هُمشوا وغُذّبوا من طرف المستعمر وعاشوا الاضطهاد بكل أنواعه من جوع وبؤس وفقير ومرض وجهل... وتارة أخرى بين بعض أبناء المعمرين الذين استيقظ فيهم الضمير الحي ليرفضوا كل أشكال التعذيب والتهميش المفروض على الجزائريين بمساندتهم للجزائريين وحملهم السلاح وعودهم للجبال للوقوف جنباً إلى جنب الجزائري الذي يملك حق تقرير مصيره بنفسه.

2-1- عناصر الحدث:

الحدث القصصي يعتمد كلياً على عنصري المعنى والحبكة واللذين لا يبد منهما من أجل فهم القصة من جهة، وتسلسل الأحداث من جهة أخرى، فالمعنى يعتمد عادة على اللغة أما الحبكة فتعتمد على ترتيب الأحداث.

- المعنى: هو مرآة القصة لدى القارئ في فهم الحدث، ولن يتم فهم المعنى اعتباراً بل بواسطة عدة عناصر سردية أهمها اللغة، والتي تحدد مستويات الفهم بين المؤلف والقارئ. إن الحدث "في القصة الجديدة، لم يعد مفصلاً عن البنية الفنية التي تسهم في الهرم الجمالي للخطاب القصصي بحيث غدا الحدث يتفاعل بشكل انزياحي مع بقية العناصر الفنية التي تشكل فضاء النص" (عبد القادر بن سالم، 2001، ص: 66).

استطاع صلاح الدين أن يرتب الأحداث ترتيباً تسلسلياً يعرضه للأحداث الثورية والاجتماعية، وتصوير حالات البؤس والمعاناة والظلم التي ذاق ويلاتاً أبناء الشعب الجزائري، ليستذكرها بكل واقعية ودون تكلف ليعرضها على القارئ المعاصر.

أما معنى القصة الحقيقي فيمكن في معركة تدور رحاها بين مرتزقة أرادوا سلب حرية شعب، وبين أبطال سلاحهم التضحية في سبيل الوطن لينتصر الحق في النهاية ويرفع العلم الجزائري خفاقاً في سماء الجزائر.

- الحبكة: بما أن الحبكة هي فن تسلسل الأحداث بغية الوصول إلى الصراع، فقد قادنا المؤلف إلى حبكة من نوع خاص تتناقض مع الإيديولوجيا الجزائرية، وتتناقض مع ذهنيات وثقافة المجتمع الجزائري. "فالكاتب الجيد هو من يربط صراع الشخصيات بالمجال (البيئة) على نحو مقنع" (ينظر: محمد غنيمي هلال، 1997، ص: 524) فالحبكة في قصة الممرضة الثائرة تتمثل في نقطتين أساسيتين:

- انضمام فتاة فرنسية إلى الثورة الجزائرية.
- زواج (حماد) وهو قائد عسكري جزائري من فتاة فرنسية، حيث كان أباهما سبياً في مقتل أب (حماد) وتشريد أمه.

2-2- طرق بناء الحدث:

نظراً لكون قصة الممرضة الثائرة كتبت في الستينيات أي بعد الاستقلال مباشرة، فإن الأرق الثقافي في ذلك الوقت، كان ظاهراً في جسد المثقف الجزائري، بما فيها طرق الكتابة ومنهجيتها، لكن بالرغم من ذلك فإن الطريقة التي اعتمدها المؤلف في صناعة الحدث هي الطريقة التقليدية، والتي تبدأ بالسرد من بداية الحدث عبر تسلسل متتابع، ثم تشابك الأحداث وتآزمها لتختتم القصة بانقشاع تلك الأزمات وحل العُقد.

سنقدم نماذج عن طريقة بناء الحدث في قصة الممرضة الثائرة على حسب الطريقة التقليدية:

2-2-1- نماذج عن بداية الحدث:

- نموذج يبين تخرج (حماد) الجزائري في رسالة بعثها لوالده ليقرأها (المستشار جيرفيه) ويقول للعم مبارك :
 "...بشارتي إليك يا مبارك إن ابنك نجح في الامتحان وحصل علي شهادة البريفي ودبلوم الترجمة وانه بنجاحه هذا
 قد يشتري له دارا مثل دارنا ويصبح رجلا ممتازا وبذلك قد تغادرنا يا مبارك أليس كذلك؟ ... " (محمد صلاح
 الدين، 1966، ص: 21).

- أما النموذج الآخر فيبين كراهية (حماد) لفرنسا في حوار دار بينه وبين والده:
 "...اسمع يا أبي إنهم يريدوننا أن نعمل لهم في نطاق الخيانة ليعيش الواحد منا بالخيانة مقابل أن يموت الشعب جوعا
 ... " (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 23).

2-2-2- نماذج عن تأزم الأحداث:

- تعلق (حماد) الجزائري ب (صوفي) الفرنسية:
 "...إن قلبه قد تعلق بصوفي وان زواجه بها في الظروف الراهنة سيكون مستحيلا بسبب الفوارق الاجتماعية والثورة
 ... " (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 30).

- صعود (حماد) للجبل والتحاقه بالثورة :
 "...ما إن بلغ السلطات الفرنسية نبأ فرار حماد والتحاقه برجال الثورة حتى جن جنونهم وتحطمت أعصابهم ..."
 (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 32).

- مقتل والد (حماد) وتشرد أمه:
 "...ولكن الضابط لم يمهل كثيرا لقد صوب رصاص مسدسه إلى رأسه ليموت من ساعته وأخبره بأنه في طريقه
 للمنزل لطرد أم حماد من داره ولأنه لا مكان عنده في منزله لأمهات الفلاحة..." (محمد صلاح الدين، 1966،
 ص: 33).

- التحاق (صوفي) بالجبل لممارسة مهنة التمريض:
 "... أرسلت صوفي إلى الولاية الرابعة حيث تتدرب هناك على فن التمريض وإجراء الإسعافات الأولية على الجرحى
 والمصابين...وبعد انتهاء الفترة التدريبية والتي استغرقت شهرين عادت من جديد إلى المنطقة حيث سلم لها سي
 موسى مقاليد الأمور الصحية..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 38).

- احتدام المعارك بين الجزائريين والفرنسيين و وقوع (صوفي) في الأسر:
 "...وانتهت المعركة عند غروب الشمس وجاءت سيارات الإسعاف التابعة للصليب الأحمر ... وكان من بينهم
 صوفيوما إن بلغ نبأ الحادث لسي موسى حتى كان الأسف بلغ به منتهاه ... لو أن صوفي ماتت ولم تقع في
 قبضة المظليين ... " (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 41/40).

2-2-3- نماذج عن نهاية الحدث:

- تسريح (صوفي) من السجن:

" في الساعة السابعة والنصف دعيت إلى مكتب المدير للتوقيع على أوراق السراح وسلم لها المدير أوراقا وأمتعة كانت قد احتجزت منها عند دخولها السجن بما في ذلك قطع نقدية وودعها المدير متمنيا لها حظا سعيدا ... "

(محمد صلاح الدين، 1966، ص: 65).

- فرحة (صوفي) بنأ وقف إطلاق النار وهي بفرنسا:

"لقد كانت في مهمة لصالح الجبهة وفي مدينة جنيف عندما بلغها نبأ وقف إطلاق النار وكادت ترمي بنفسها من بلكون نزل جنيف ... " (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 67).

- إعلان الكبتان (السي موسى) بالزواج من (صوفي):

"..وأخبرها بأنه وبعد أيام يتسرح من الجيش فيصبح نائب العامل في المدينة وسيتم عقد الزواج... " (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 68).

يمكن القول بأن المؤلف وظف هذه الأحداث للاعتراف بالجميل لما قدمه (أصدقاء الثورة) للثورة الجزائرية، إيماناً منهم بالقضية الجزائرية.

3- الزمان والمكان:

اهتم المفكرون والنقاد كثيرا بعاملَي الزمن والمكان - الزمكانية (chronotop) -، خاصة في ميدان الفنون السردية، لما لهما من استعمالات واسعة في صناعة النص الأدبي.

اعتمدت قصة المرخصة الثائرة في سرد أحداثها على الزمان والمكان كونهما من العناصر الرئيسية في استجلاء الظاهرة التاريخية، إذ "تقوم الظاهرة التاريخية على ثلاث دعائم هي الزمان والإنسان و المكان، ولا يمكن تصور فعل تاريخي، أو ظاهرة تاريخية، خارج حدود هذه الدعائم الثلاث" (قاسم عبده، 2000، ص: 37).

3-1- السردية الزمنية:

زمن الحكاية مكون سردي ضمن مجريات الأحداث فهو زمن المادة الحكائية، أي المدة الزمنية الحقيقية للأحداث وان كانت مختزلة، فقصة المرخصة الثائرة بدأت أحداثها من شهر جوان 1945م حتى سنة 1962م، وهو تاريخ استقلال الجزائر.

في إطار السردية الزمنية سنتطرق إلى الترتيب الزمني في قصة المرخصة الثائرة، كما سيأتي:

3-1-1- الاسترجاعات:

وهو التطرق لأحداث ماضية واسترجاعها عبر الحكي، في قصة المرخصة الثائرة نجد العديد من الاسترجاعات الداخلية والخارجية التي سوف نبرزها بأمثلة من القصة :

أ- الإسترجاعات الداخلية: وتتكون من:

* **الاسترجاع الداخلي التكميلي:** يسميها جيرار جينيت "استرجاعات تكميلية أو إحالات، تضم المقاطع الاستعدادية، التي تأتي لتسدّ، بعد فوات الأوان فجوة سابقة في الحكاية" (جيرار جينيت، 1997، ص: 62)، من أمثلة ذلك:

- "... لأن المسيو جيرفيه بدأ يكبر وأنه لا ثقة له في الأوروبيين بعد اختفاء مدير أعماله الأوروبي يدموند وبعد أن سرق كل ما كان بخزانة المسيو جيرفيه يومها أي أربعة ملايين من الفرنكات..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 24).

* **الاسترجاع الداخلي التكراري:** ويأتي لاستدكار حدث سبق ذكره في القصة، من أمثلة ذلك:

- "... ولم ينسى أن يذكره بأن الدار المذكورة كانت قد انتزعت في السنة الفارطة فقط من أحد الأثرياء العرب والذي أعدمته السلطة العسكرية.." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 07).

ب- الاسترجاعات الخارجية:

ونعني بها استرجاع حكاية خارج زمن القصة، من أمثلة ذلك:

- "... وتذكر أنه شاهد أثناء زيارته لبريطانيا في رحلة دراسية وهو عندها طالبا في الثانوية ضباطا يلبسون لباسا يقارب هذا الزي.." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 06).

- "... إن المسيو جيرفيه لازال يذكر نصائح تلقاها عن جدته المرحومة عندما كان طفلا صغيرا وهي تؤكد في مجموعها وجوب ملازمة الحذر في معايشة المسلمين وأخبرته كذلك بأن المسلمين كانوا قديما من آكلي اللحوم البشرية..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 11).

3-1-2- الاستباقات:

وتتمثل في ذكر وقائع قبل الوصول إليها أي استباق الحدث، وظف المؤلف في قصته بعض الاستباقات منها الداخلية و الخارجية:

أ- السوابق الداخلية: وتتكون من :

* **السوابق الداخلية التكميلية:** وهي الإخبار أو التنبؤ عن أحداث لاحقة تُكمل الحكاية داخل زمن القصة، من أمثلة ذلك ما يلي:

- "... وقد علم جيرفيه أن الإقامة جميلة جدا ومحفوفة بغابات النخيل ستعطي له ليسكنها هو وعائلته وان قروضا هامة ستدفع له..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 06).

- "...وإني على يقين تام من انك ستكون في طليعة الشباب الذين يهبون للدفاع عن الوطن المحبوب..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 18).
- "...قال لي قل لحماذ هذا المبلغ هو تموينه وحتى يصعد إلى الجبل ويلتحق بالفلاحة..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 18).
- "...وسوف ترى قريباً كيف أنهم سيشرعون في تطبيق برنامج الأرض المحروقة انتقاماً من الجزائريين..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 65).

* **السوابق الداخلية التكرارية:** ومعناه تكرار ذكر حادثة يمكن أن تقع مستقبلاً، دون الخروج عن زمن القصة، من أمثلة ذلك ما يلي:

- "...والآن لم يبق لي إلا أن أودعك ونقول لك إلى اللقاء فوق قمة الأطلس الصحراوي الشامخ وإلى اللقاء يوم الحرية والاستقلال..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 19/18).
- ثم يكرر ذكر الحادثة مرة أخرى في قوله:
- "...وما هي إلا أيام عديدة ويكون فيها حماد فوق أعلى قمة جبل الأطلس الصحراوي الأشم ليعلمها مدوية لجيرفيه وغيره من المرتزقة وهي أن شعب الجزائر قد صمم العزم هاته المرة على النصر وأنه لا توجد قوة في العالم لتصدّه عن هدفه ... " (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 25).

ب- السوابق الخارجية: بمعنى ذكر حادثة يمكن أن تقع مستقبلاً خارج زمن الحكّي، من أمثلة ذلك:

- "...وربما سأكون في يوم من الأيام بطلاً عالمياً كليونيل تراي وأبلغ أعلى قمة جبلية في العالم إنها قمة جبل الإفريست الخالدة..." (محمد صلاح الدين، 1966، ص: 49).

نلاحظ أنّ القاص قد استعمل بشكل واضح أهم أدوات السرد الزمني، ويظهر ذلك من خلال توظيفه للترتيب الزمنية وما تضمنته من استرجاعات واستباقات، حيث استطاع أن يعرض الأحداث وفق ترتيبها الزمني، مستعملاً في ذلك التقنيات المعروفة في تشكيل الزمن ضمن الخطاب القصصي.

3-2- السردية المكانية:

اعتنى الأدباء كثيراً بالمكان لما له من دلالات واسعة تحدم النص الأدبي، فهو المكان الحقيقي الذي يعيش فيه الإنسان، وهو حيز الوقائع وفضاء المعالم، فالإنسان موجود في المكان والمكان يحيط به، وكغيره من الأدباء اهتم محمد صلاح الدين في قصته بتصوير العديد من الأمكنة والبلدان كونها تحمل سمة جمالية تزيد في بهاء البنية السردية، بصفته الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات وتطور فيه الأحداث، حيث عدّد مجموعة من الأمكنة في قصته كما يأتي:

**** المكان الرئيسي:**

- مدينة (المنيعه) بالجنوب الجزائري وهو المكان الرئيسي في القصة.

**** الأمكنة الثانوية:**

- مدينة (مليانة) أين كان يدرس حماد .
- (جبال المنطقة الخامسة بالمنيعه). أين كان يتواجد السي موسى
- (المستشفى المدني بالمنيعه) أين تلقت صوفي الإسعافات الأولية.
- (الثكنة العسكرية بالمنيعه) أين كان يتم تعذيب صوفي.
- (سجن مدينة قسنطينة) أين سجن صوفي.
- (المحكمة العسكرية بقسنطينة) أين حوكت صوفي.
- مدينة (برينيون بفرنسا).

المؤلف وظف مجموعة من الأماكن المفتوحة والمغلقة في قصته، محاولا نقل هذه الأماكن إلى القارئ وما تحمله من مرجعيات ثقافية واجتماعية ودينية وتاريخية، وفق منظور خطابي يتسم بخاصية الوصف الحكائي، وهي كالتالي:

3-2-1- الأمكنة المفتوحة:

- مدينة (المنيعه).
 - مدينة (مليانة).
 - (جبال المنطقة الخامسة بالمنيعه).
 - مدينة (برينيون بفرنسا).
- فالمكان المفتوح هو حيز غير محدد، يضم مجموعة من الأمكنة، يتسم بحركة الحياة وتواصل الناس فيما بينهم وممارسة شؤونهم بكل حرية واستقلالية.

3-2-2- الأمكنة المغلقة:

- (المستشفى المدني بالمنيعه) أين تلقت صوفي الإسعافات الأولية.
 - (الثكنة العسكرية بالمنيعه) أين كان يتم تعذيب صوفي.
 - (سجن مدينة قسنطينة) أين سجن صوفي.
 - (المحكمة العسكرية بقسنطينة) أين حوكت صوفي.
- أما المكان المغلق فهو حيز محدد، بحدود هندسية وجغرافية، فقد يكون مكان أمان وسلام وطمأنينة، وقد يكون عكس ذلك.

إن تنوع الحضور المكاني في قصة الممرضة الثائرة واضح وجلي في كل مراحل القصة، حيث وظف القاص المكان في قصته توظيفا يتلاءم والقصة الثورية الجزائرية، والتي هدفها تصوير الظاهرة التاريخية أثناء حرب التحرير في الجزائر، وذلك بالاعتماد على الزمان والمكان والإنسان، فتوظيف المكان مع أحداثه التاريخية توظيفا حقيقيا يخدم العملية السردية والتوثيقية، ويعتبر ضرورة فنية في ميدان العمل الأدبي. إذ "تقوم الظاهرة التاريخية على ثلاث دعائم هي الزمان والانسان و المكان، ولا يمكن تصور فعل تاريخي، أو ظاهرة تاريخية، خارج حدود هذه الدعائم الثلاث" (قاسم عبده قاسم ، 2000، ص: 37).

4- اللغة السردية:

اللغة أداة شفاهية وكتابية، فهي ليست وسيلة اتصال فقط بين الناس بل هي وسيلة تعبير كتابي أيضا، فالأديب يوظف اللغة للوصول إلى القارئ عبر الكتابة بصفتها أساس الإبداع الأدبي. صور لنا صلاح الدين في قصته أبعديات الحياة الاجتماعية الجزائرية بكل أشكالها وتعقيداتها أيام الاحتلال الاستعماري الغاشم ضمن نص قصصي شيق يحمل قيمة أدبية واجتماعية وتاريخية ليستذكر من خلاله عبر لغة بسيطة قضية الثورة الجزائرية، التي لم تغب عن وعي الكاتب.

اللغة تعبر عن ما يحدث في المجتمع فهي ولا بد الوسيلة الفعالة للتعبير عن واقع الحياة بإيجابياتها أو سلبياتها ضمن إطار سردي يتسم بالفاعلية للوصول إلى الغاية المنشودة فلم "تعد اللغة انعكاسا في الذاكرة الإنسانية لشكل خارجي ، ولكنها صارت أداة للتعبير عن تجربة حسية للإنسان ومعاشه" (بيير جيرو، 1994، ص: 36)، فالسرد يتخذ اللغة للتعبير، "وإن كان السرد القصصي يتخذ من اللغة وسيلة له فهو يحكي عن طريق اللغة السلوك الإنساني" (عبد الرحيم الكردي، 2005، ص: 13).

فاللغة حاضرة في جميع محطات الإبداع من الكتابة إلى القراءة مروراً بأحداث القصة "فالقصة تنقسمها ثلاثة مستويات لغوية تتعلق المستوى الأول بالمبدع أو الكاتب أو القاص ، والثاني متعلق بشخص القصة وأبطالها ، والثالث متعلق بالمتلقي أو القارئ، ومع اختلاف هذه المستويات فيما بينها فإن اللغة يجب أن تكون متقاربة أو موحدة..." (علي عبد الجليل، 2005، ص: 67)

أغلب لغة قصة الممرضة الثائرة هي لغة عربية فصيحة، كما تداخلت مع بعض المصطلحات العامية، والأجنبية، من بين المصطلحات الأجنبية الفرنسية المستعملة في القصة نجد الآتي:

- (المتروبول) بمعنى الدولة الاستعمارية (métropole)
- (بونجور توس) بمعنى صباح الخير جميعا (bonjour à tous)
- (المدام) بمعنى السيدة (madame)
- (المسيو) بمعنى السيد (monsieur)
- (الليسي) ومعناها الثانوية (lycée)

- (البزار) ومعناه المحل الكبير (bazar)
- (اير فرانس) وتعني شركة الخطوط الجوية الفرنسية (Air France)

اللغة القصصية المحكمة البناء تعتمد على الأسلوب وطريقة الكتابة من أجل غايات فنية أهمها جودة النص الأدبي، يقول دالامبير: " يقال في الأسلوب أنه أوصاف الخطاب الأكثر خصوصية، والأكثر صعوبة والأكثر ندرة، والتي تسجل عبقرية أو موهبة الكاتب أو المتكلم" (بيير جيرو، 1994، ص:37). إذ أن الأسلوب القصصي المعاصر يتسم بتوفير الدلالة للقارئ عن طريق اللغة المتداولة في خطابه اليومي، فالدراسات اللغوية اشتغلت كثيرا بالأسلوب و دراسة الدلالة من خلال اللفظ، فالأسلوب المميز هو الذي يؤثر على المتلقي من خلال لغة واضحة، وهذا ما نجد في قصة الممرضة الثائرة.

خاتمة :

إن دراستي لقصة الممرضة الثائرة لمؤلفها محمد صلاح الدين جاءت ضمن الدراسات السردية التحليلية، والتي تهدف إلى البحث والغوص في مكونات السرد القصصي الجزائري، وبعد الدراسة والتحليل وقفت على مجموعة من النتائج أهمها:

- القصة تعبر عن أحداث ووقائع تاريخية تحمل دلالة ومعاني صادقة لحياة المجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي.
- تميزت القصة بوحدها العضوية والموضوعية وذلك بتألف أجزائها وتماسك فقراتها، مع وحدة مادتها الحكائية.
- شخصيات القصة شخصيات فاعلة من خلال تفاعلها مع مكونات السرد ومن خلال الشبكة العلائقية القوية التي نسجتها مع بعضها البعض، كما أبدع المؤلف في توظيف الراوي الغائب، من خلال قدرته على التحكم في السرد.
- اعتمد الكاتب الطريقة التقليدية في بناء حوادثه والتي تعتمد على (بداية الأحداث-العقدة- الحل) لضمان السرد من بداية الحدث عبر تسلسل متتابع يسمح بتسلسل الأحداث.
- في السردية الزمنية اعتمد الكاتب على الترتيب الزمني لسرد الأحداث من خلال توظيفه للاسترجاعات والاستباقات.
- أما السردية المكانية فقد وظف الكاتب أماكن حقيقية لضمان حقيقة السرد، كما تنوعت الأمكنة بين المفتوحة والمغلقة، حسب أحداث القصة.
- وظف الكاتب لغة فصيحة يعترئها بعض التغريب، كنمط أسلوبى جديد غرضه توفير الدلالة والمعنى للمتلقى، كون اللغة التغريبية لغة يتعامل معها القارئ في حياته اليومية، لكنه لم يهمل توظيف اللغة الفصيحة وأساليبها الجمالية.
- يعتبر تعالق مكونات عناصر السرد مع بعضها البعض من أهم مقومات صناعة العمل الأدبي المعاصر .

ساهمت قصة محمد صلاح الدين في إثراء بعض الحقائق التاريخية، والتي عبرت عن واقع الحياة الاجتماعية الجزائرية إبان الثورة التحريرية. مما يبرز دور أدباء الجزائر في نشر الحركة الثقافية والفكرية والتاريخية للأجيال الحاضرة واللاحقة، كما نشيد بثقافة ومرجعية الكاتب نتيجة هذا العمل الأدبي، حيث طبعه للقارئ في مرحلة صعبة من تاريخ الجزائر، وهي مرحلة ما بعد الكولونيالية، حيث تعتبر أهم مرحلة من مراحل الإبداع الأدبي والفني في مجال الأعمال القصصية بالجزائر.

قائمة المراجع:

- محمد صلاح الدين (1966)، قصة الممرضة الثائرة، ط1، المطبعة العصرية الدار البيضاء، المغرب.
- بيير جيرو (1994)، الأسلوبية، ط2، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا.
- جيارر جينيت (1997)، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ط2، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، الدار البيضاء.
- قاسم عبده قاسم (2000)، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، ط01، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر.
- عبد القادر بن سالم (2001)، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد (بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- محمد غنيمي هلال (1997)، النقد الأدبي الحديث، نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- سيد اسماعيل ضيف الله، (2008)، آليات السرد بين الشفاهية والكتابة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- قاسم عبده قاسم، (2000)، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط01، مصر.
- عبد الرحيم الكردي، (2005)، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، ط03، القاهرة.
- علي عبد الجليل، (2005)، فن كتابة القصة القصيرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن.